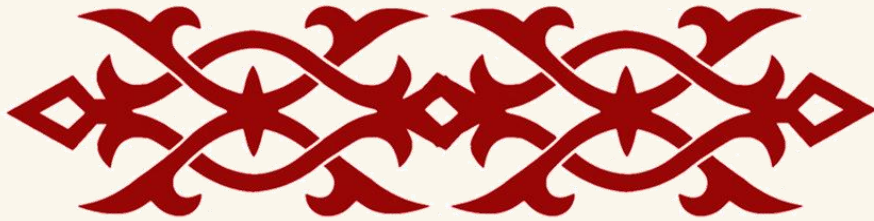


مَنْ تَدْرِكُهُمْ رَحِمَهُ اللَّهُ

للشيخ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ بنتِ الشيخ
مُقْتَبِل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى





روابط الشیخة عبر منصات التواصل

-  <https://alwadei967.blogspot.com>
-  <https://t.me/alwad3ya>
-  <https://t.me/alwadeia2>
-  <https://whatsapp.com/channel/0029VaaQ6kF9Bb5seBKp2B18>
-  <https://chat.whatsapp.com/JxvDfXpwWyHBLyRPyEOPpS>





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، **والصلاة والسلام** على نبيه ورسوله محمد الأمين، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، **وأشهد** أن محمدًا عبده ورسوله، **صلى الله** عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنه يجب علينا أن نعلم أننا كلنا نفتقر إلى رحمة الله في كل الأحوال، ولا غنى لنا إلا في الافتقار إلى رحمة الله الكبير المتعال.

قال ابن القيم **رحمته** في مقدمة «زاد المعاد» (١/ ٣٥): الَّذِي لَا فَوْزَ إِلَّا فِي طَاعَتِهِ، وَلَا عِزَّ إِلَّا فِي التَّدَلُّ لِعَظَمَتِهِ، وَلَا غِنَى إِلَّا فِي الْإِفْتِقَارِ إِلَى رَحْمَتِهِ، وَلَا هُدًى إِلَّا فِي الْإِسْتِهْدَاءِ بِنُورِهِ، وَلَا حَيَاةَ إِلَّا فِي رِضَاهُ، وَلَا نَعِيمَ إِلَّا فِي قُرْبِهِ، وَلَا صَلَاحَ لِلْقَلْبِ وَلَا فَلَاحَ إِلَّا فِي الْإِخْلَاصِ لَهُ وَتَوْحِيدِ حُبِّهِ، الَّذِي إِذَا أُطِيعَ شَكَرَ، وَإِذَا عُصِيَ تَابَ وَغَفَرَ، وَإِذَا دُعِيَ أَجَابَ، وَإِذَا عُوِمِلَ أَثَابَ.

وقد وصف الله ﷻ نفسه بالرحمة، وأن رحمته واسعة عمت كل شيء، قال
ﷻ في كتابه الكريم: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا
يُرَدُّ بِأَسْهُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام: ١٤٧]، ويقول سبحانه:
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال ملائكة الله حملة العرش: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا
فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر:
٧].

كما أن الله ﷻ سمي نفسه بالرحيم في آيات كثيرة: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٦]، ويقرن ﷻ بين هذين الاسمين: الغفور،
والرحيم؛ لأن المغفرة: سلامة من المكروه، والرحمة: غنيمة. وهذا كما قال



النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعمر بن العاص حين بعث سرية:
«اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّهُمْ»^(١).

فبدأ بالسلامة ثم ذكر الغنيمة، وهذه هي الحكمة والفائدة في البدء باسم
الله الغفور، ثم التثنية بالرحيم.

وهكذا إذا تأملنا في جميع الآيات نجد البدء بالغفور قبل اسمه الرحيم، إلا
في موضع واحد من كتابه الكريم بدأ سُبْحَانَهُ بالرحيم قبل الغفور، وذلك
في سورة سبأ؛ قال سُبْحَانَهُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ
الْغَفُورُ ۝٢﴾ [سبأ: ١-٢].

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤٥٤/٢٦) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، وهو في «الصحيح المسند» (٤٨٨)
لوالدي رضي الله عنهما.

قال ابن القيم رحمته الله في «بدائع الفوائد» (١/٦٤): وأما تقديم الغفور على الرحيم فهو أولى بالطبع؛ لأن
المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة تطلب قبل الغنيمة، وفي الحديث أن النبي قال: لعمر بن
العاص «أبعثك وجها يسلمك الله فيه ويغنمك، وأرغب لك رغبة من المال»، فهذا من الترتيب
البديع، بدأ بالسلامة قبل الغنيمة، وبالغنيمة قبل الكسب.

ففي هذا الموضع فقط الله ﷻ بدأ بالرحيم قبل الغفور؛ **إمّا** لبيان فضل الرحمة وكما لها، كما قال تعالى: ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٤٣)، فبدأ بالسجود؛ لفضله، أو يكون هذا من باب العموم والخصوص؛ فالله ﷻ ذكر بعض مخلوقاته وفيهم المكلفون والحيوانات، والرحمة تشمل المكلفين وغيرهم، وهذا هو العموم، ثم خص المكلفين بالمغفرة (٢).

فسبحان ربنا ما أرحمه!

ولهذا ربنا ﷻ لما ذكر استواءه على العرش ذكر اسمه الرحمن في سورة طه، فقال ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥)؛ ليدل أنه سبحانه مع استوائه على العرش موصوف بالرحمة.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في «بدائع الفوائد» (١/٦٤): وأما قوله: ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (٢)، فالرحمة هناك متقدمة على المغفرة، إما بالفضل والكمال، وإما بالطبع؛ لأنها منتظمة بذكر أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم من الحيوان، فالرحمة تشملهم والمغفرة تخصهم، والعموم بالطبع قبل الخصوص، كقوله: ﴿فَلَكُمْهُنَّ وَنَحْلٌ وَزُمَانٌ﴾ (٦٨)، وكقوله: ﴿وَمَلَكُتْ كِتَابَهُ وَرُسُلَهُ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾، ومما قُدم بالفضل قوله: ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٤٣)؛ لأن السجود أفضل وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

وقال سُبحَانَهُ: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ٥٨﴾ [يس: ٥٨].

وقال سُبحَانَهُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣﴾

[الفاتحة: ٢-٣]؛ ليدل على أنه مع كونه ربًّا فهو الرحمن الرحيم، فمع وصفه بالربوبية الشاملة التي تقتضي الخلق والملك والتدبير، الله موصوف بالرحمة.

وهنا في قوله تَعَالَى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ٥٨﴾ [يس: ٥٨]، الله ﷻ

يسلم على أهل الجنة، يقول لهم: سلام عليكم، أي: الله عليكم، من معاني السلام: الله عليكم، ومن معانيه: الدعاء لهم بالسلامة من الآفات، فالله

ﷻ يسلم على أهل الجنة، ويصف نفسه بالربوبية والرحمة، وأيضًا أهل

الجنة-جعلنا الله من أهلها-يحیی بعضهم بعضًا بالسلام، قال تَعَالَى:

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ

أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٠﴾ [يونس: ١٠].



رحمة الله سُبحَانَهُ واسعة، وهو أرحم بنا من أمهاتنا وآبائنا، ورحمة الآباء والأمهات لا يقارَن بها أي رحمة؛ لأنهم فلذات الأكباد، ولكن رحمة الله بنا أعظم!

روى البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه:
قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبِيٌّ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ قَدْ تَحَلَّبُ نَذِيهَا تَسْقِي، إِذَا
وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ
ﷺ: «أَتُرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا
تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهِ أَزْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدَهَا».

فالله أرحم بنا من أمهاتنا وآبائنا- مع شدة عطف الأبوين، ورقة قلوبهما على الأبناء-، وأرحم بنا من أنفسنا.

وانظروا لما غاب يوسف عليه السلام عن أبيه يعقوب، ثم بعد فترة غاب الآخر،
عمي وذهب بصره؛ حزناً على ولديه، وكما قص الله ﷻ ذلك في كتابه
الكريم، قال سُبحَانَهُ: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ
وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤) [يوسف: ٨٤]، ذكر

يوسف ولم يذكر الولد الأخير؛ لمكانة يوسف، وذكره ليوسف أيضًا يفيد:
أن المصيبة الحديثة تُذكر بالمصيبة القديمة. وقال: ﴿يَآسَفَى﴾، أي: يا
حسرتا أو يا حزنا على يوسف، ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾، أي:
بسبب الحزن، عمي، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤)، أي: مغموم.

وقص الله ﷻ في آخر القصة عند أن التقوا بيوسف وعرف بنفسه لهم،
قال لهم: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقَوُهِ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا
وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣) [يوسف: ٩٢-٩٣]، خاطبهم بأن
يأخذوا قميصه، ويلقوه على وجه أبيه. ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ أي: يرجع بصيرًا.
قال الله سبحانه: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ [يوسف: ٩٤]، أي: تميزت
وانفصلت، ﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنَِّّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنِئُونِ
﴿٩٤﴾﴾ [يوسف: ٩٤]. شم رائحة قميص يوسف من مسافات، ﴿إِنِّي
لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنِئُونِ﴾ (٩٤)، أي: تنسبونني إلى الخرف
والهرم. ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ﴾ (٩٥) [يوسف: ٩٥]،
أي: كلامك المعروف سابقًا. ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ

فَأَرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾

[يوسف: ٩٦]، أي: لم أقل لكم: إنني أجدر ربح يوسف إلا بعلم من الله، ثم رجع بصيرًا بعد أن عمي؛ بسبب رحمته بولديه.

وأم موسى عند أن أوحى الله إليها أن تُلقِي ولدها في البحر، حزنت عليه لما ألقته وخافت عليه، وأصبح قلبها فارغًا إلا من ولدها، حتى أرجعه الله إليها، كما قصَّ الله ذلك علينا في سورة القصص.

فما أعظم -يا أخواتي ويا بناتي- رحمة الأبوين!

قد تؤدي الرحمة بالولد إلى الانكسار النفسي إذا كان مريضًا، إذا أصيب، إذا تعب في حياته، إذا مات، والله وَعَلَيْكُمْ رحمته فوق كل رحمة.

واعلمي -علمني الله وإياك- أن للخير مفاتيح، وللشر مفاتيح، ولقد ذكر الله ﷻ مفاتيح للفوز برحمته، وهذا فيه حث على التنافس والمسابقة إلى الفوز برحمة الله ﷻ.

وإن من أسباب الفوز برحمة الله:



اتباع كتابه المنزل على نبيه محمد ﷺ:

قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

اتباع كتاب الله ﷻ من أسباب رحمة الله ﷻ، وهذا من بركات القرآن، فالذي يتبع القرآن، يمتثل أوامره، يجتنب نواهيه، يتخلق بأخلاقه، الله ﷻ يرحمه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [١٥٥] أي: لعل تعليلية، أي: كي يرحمكم الله ﷻ.

إن هذا لمن أعظم طرق الظفر برحمة الله، اتباع الهدى الذي جاءنا عن الله سبحانه، وعدم الزيغ والانحراف يميناً أو شمالاً، قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى [١٢٦] وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى [١٢٧] [طه: ١٢٤-١٢٧]، ويقول سبحانه:

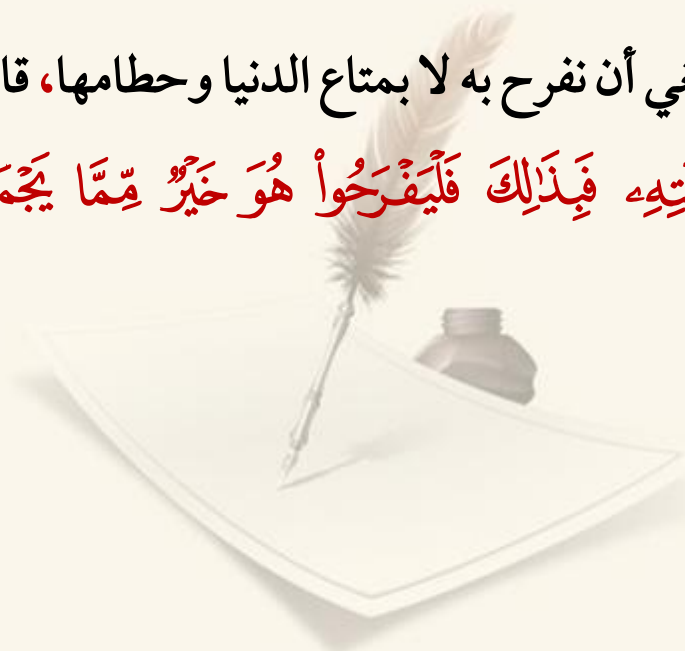
﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١].

فإذا اعتصمت بحبل ربك، واستقيمت على دينك، سلكت طريق الهدى، وتجنبتي طريق العمى، وفُزت برحمة الله العلي الأعلى، ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنعام].

ويحصل التفاوت في الظفر برحمة الله كُلِّ بحسبه.

قال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١٧٢/٢): فالرحمة التي تحصل لمن حصل له الهدى، هي بحسب هداه، فكلما كان نصيبه من الهدى أتم كان حظه من الرحمة أوفر، وهذه هي الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين، وهي غير الرحمة العامة بالبر والفاجر. اهـ.

وهذا هو الذي ينبغي أن نفرح به لا بمتاع الدنيا وحطامها، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ۖ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].



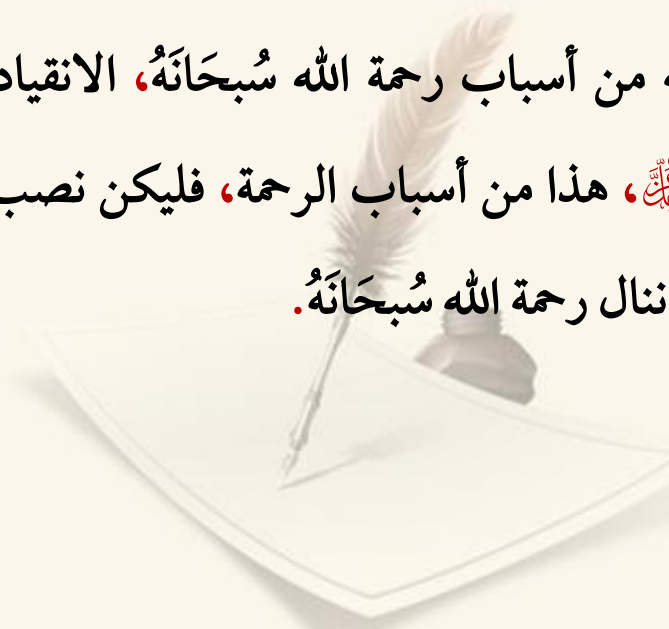
قال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٧٠/٢): وأغنانا بالفرح بفضله ورحمته، وهما القرآن والإيمان، عن الفرّح بما يجمعه أهل الدنيا من المتاع، والعقار، والأثبان، فقال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨) [يونس: ٥٨].

وقال رحمه الله في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٣٨/٢): وَقَدْ دَارَتْ أَقْوَالُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ هِيَ الْإِسْلَامُ وَالسُّنَّةُ، وَعَلَى حَسَبِ حَيَاةِ الْقَلْبِ يَكُونُ فَرَحُهُ بِهِمَا، وَكُلَّمَا كَانَ أَرْسَخَ فِيهِمَا كَانَ قَلْبُهُ أَشَدَّ فَرَحًا...

ومن أسباب رحمة الله: طاعة الله وطاعة رسوله

قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٣٦) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣١-١٣٢].

طاعة الله ورسوله من أسباب رحمة الله سبحانه، الانقياد والاستسلام، عدم معصية الله ﷻ، هذا من أسباب الرحمة، فليكن نصب أعيننا طاعة الله ورسوله؛ حتى ننال رحمة الله سبحانه.



وفي سورة التوبة ذكر الله تعالى عدة أوصاف من تحققت فيه فاز برحمته:

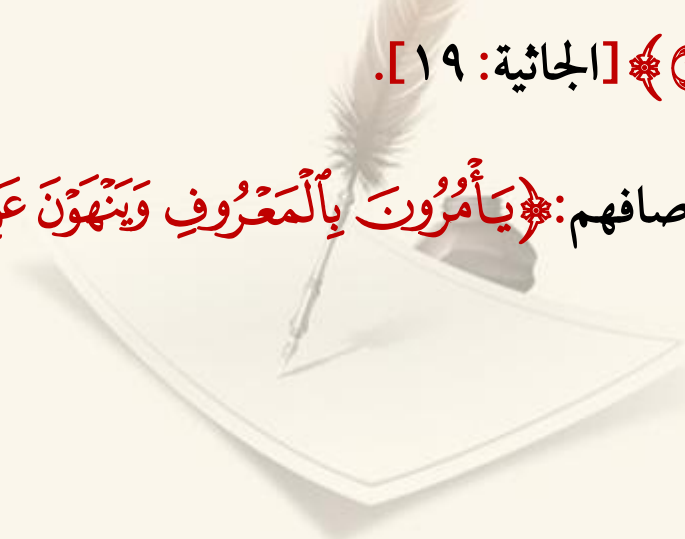
قال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

هذه أربعة أعمال صالحة -ضد أعمال المنافقين- يُنال بها رحمة الله،

فيقول ﷺ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ موالاة المؤمن للمؤمن في المحبة والنصرة.

ومفهومه: موالاة الكافر للكافر، وكما قال ربنا ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

ثم قال تعالى في أوصافهم: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.



الأمر بالمعروف: كل ما عرفه الشرع.

والنهي عن المنكر: ما أنكره الشرع.

والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة من شعائر الإسلام، ومسؤولية على الكواهل، فلا يقول أحد: أنا إلى نفسي، بل إذا وجد منكراً ينكره، إذا وجد تقصيراً ينبه المقصّر، يدل على الخير ويحذر من الشر.

وقد علّق الله تعالى الفلاح بالقيام بذلك، فقال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

الفلاح: وهو نيل المطلوب، والسّلامة من المرهوب. كما ذكر هذا الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة النور.

وقد ذم الله ﷻ بني إسرائيل على تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩].

فالقيام بهذه الشعيرة رزق من الله، يختص الله بها من يشاء.

ولكن هذا يحتاج إلى علم، وصبر وحلم، وإلى قلب، وجهد وجهاد، وغيره على دين الله سبحانه؛ حتى يكون كلما وقعت عينه على أخطاء، أو منكرات وشركيات لا يألو جهدًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنقاذ الناس من ظلمة الجهل والمعاصي.

ورحم الله والدي وغفر له، كان من صفاته القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى في المستحبات والمكروهات، ينبه: هذا ليس من السنة، من السنة كذا، هذا مكروه، هكذا الذي يهمله دين الله ﷻ!

وذكر والدي رحمه الله عن شخص أنه كان لا يرى منكراً إلا أنكره، قال: فقلت في نفسي: كيف لو خرج إلى اليمن ووجد ما به من المنكرات؟ الحلف بغير الله، دعاء الأموات، النذر لغير الله، الذبح لغير الله، تعليق الحروز والعزائم، الاختلاط، التقصير في الصلاة...

إنَّ كل بلد فيها نصيبها من الشر والمنكرات، ولكن اليمن عنده زيادة مصيبة: فَرَقَ الرِّفْض، والرفض يدعو إلى العقائد الزائغة، والأخلاق

المنكرة، وزحزحة المسلمين عن دينهم وعقيدتهم إلى كل رذيلة وضلالة. نسأل الله أن يهديهم أو يقطع دابرهم.

ثم قال سبحانه: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [التوبة: ٧١]، إقام الصلاة وإيتاء الزكاة من الصفات التي يُنال بها رحمة الله سبحانه، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

والم تأمل يجد كثيرًا ما يقرن الله ﷻ بين إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وهذا دليل على أهمية إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

ثم قال تعالى: ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ طاعة الله ورسوله من أسباب رحمة الله، وتصيب العاصي الذلة والهوان والصغار، ولا عزة له أبدًا إلا بطاعة الله ورسوله. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠].

قال ابن القيم رحمه الله في «حادي الأرواح» (٦٨): وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحًا يفتح به.. إلى أن قال: ومفتاح العز طاعة الله ورسوله. اهـ.

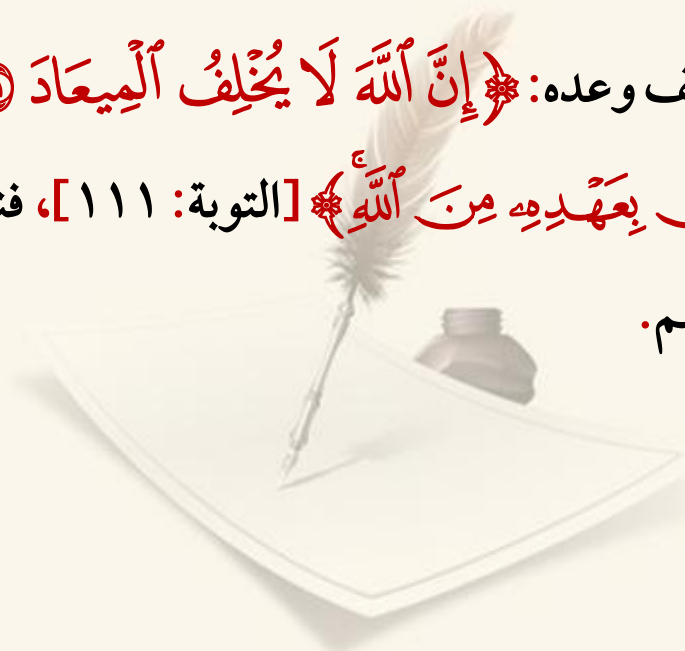
ثم ذكر جزاءهم في تمام الآية: ﴿أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١).

قال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي: قوي قاهر، ومع قوته فهو حكيم، يضع كل شيء موضعه اللائق به الذي يحمد على ما خلقه وأمر به. اهـ.

ثم قال الله ﷻ بعدها:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٧٢) [التوبة: ٧٢].

هذا وعد من الله لهؤلاء الذين نالتهم رحمته بأنه سيدخلهم الجنة ويرضى عنهم، والله لا يخلف وعده: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (٣١) [الرعد: ٣١]، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]، فنسأل الله ﷻ أن يجعلنا ممن رحمهم.



ومن أسباب الفوز برحمة الله:

اتقاء السيئات وعقوباتها، قال ﷺ عن الملائكة حملة العرش وهم يدعون للمؤمنين: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ①﴾ [غافر: ٩] (٣).

ومن وقاه الله الذنوب فقد وفق لفعل الحسنات وجزائها الحسن.

ومن أسباب الفوز برحمة الله:

رحمة المخلوقين والعطف عليهم، يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ②﴾ [النور: ٢٢].

(٣) قال ابن القيم في «الجواب الكافي» (١١٥): فَهَذَا يَتَضَمَّنُ طَلَبَ وَقَايَتِهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ وَعُقُوبَاتِهَا الَّتِي تَسُوءُ صَاحِبَهَا، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مَتَى وَقَاهُمْ عَمَلَ السَّيِّئِ وَقَاهُمْ جَزَاءَ السَّيِّئِ، وَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ أَظْهَرَ فِي عُقُوبَاتِ الْأَعْمَالِ الْمَطْلُوبِ وَقَايَتَهَا يَوْمَئِذٍ.

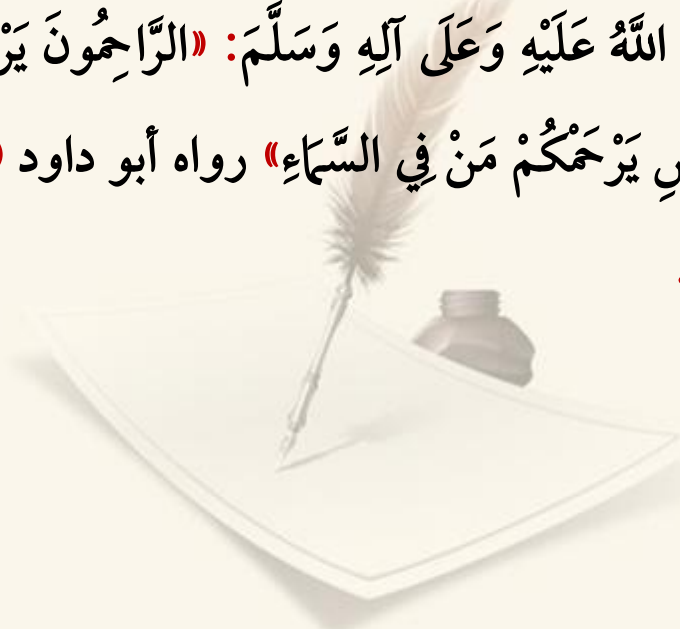
وروى البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠) عن عائشة رضي الله عنها، الحديث في حادثة الإفك، وفيه: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه - وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُنَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ -: وَاللَّهِ لَا - أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ.

عاد أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى النفقة على مسطح.

والجزاء من جنس العمل، من غفر غفر الله له، ومن رَحِمَ رضي الله عنه.

وروى البخاري (٧٣٧٦)، ومسلم (٢٣١٩) عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ عز وجل».

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ اِرْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَن فِي السَّمَاءِ» رواه أبو داود (٤٩٤١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو.



إنّ هذا يدل أن الجزء من جنس العمل، فالذي يرحم المخلوقين، يرحم المحتاجين والضعفاء، يرحم الصبيان، حتى الحيوانات يرحمها، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ» رواه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا من الرحمة بها يطعمها ويسقيها.

وعَنْ قُرَّةِ بْنِ إِيَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ، وَأَنَا أَرْحَمُهَا- أَوْ قَالَ: إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا- فَقَالَ: «وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ، وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ» (٤).

وإذا كان هذا في الحيوان فكيف بمن أكرمه الله وميزه بالعقل والإدراك ينبغي أن تكون الرحمة به أعظم؟

فمن رَحِمَ رُحِمَ، ومن غَفَرَ غُفِرَ له، ومن جَاد جَادَ اللهُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

ومن أسباب نيل رحمة الله سُبْحَانَهُ:

(٤) رواه أحمد (٣٥٩/٢٤). وذكره والدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الصحيح المسند» (١٠٧٧).

الصبر على الآلام والمصائب والمكدرات، يقول ﷺ في كتابه الكريم:
 ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
 رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْتَخِرُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

والحياة كلها تحتاج إلى صبر، لن تطيعي الله إلا بالصبر، لن تقومي
 بالحقوق إلا بالصبر، لن تسعدي إلا بالصبر، لن تكوني مؤمنة بأقدار الله
 حقاً إلا بالصبر، لن تحفظي القرآن وتطلبي العلم إلا بالصبر، ولن تقومي
 بالمعاملة الحسنة والأخلاق الفاضلة إلا بالصبر، ولن تربّي أولادك تربية
 إسلامية إلا بالصبر، ولن تلزمي بيتك إلا بالصبر، ولن تحرصي على
 مجالات الفاضلات الخيّرات دون من سواهن إلا بالصبر، ولن تهتني
 بالعيش إلا بالصبر، ولن تدخل الجنة إلا بالصبر، ولن تحافظي على وقتك
 إلا بالصبر، ولكن عواقب الصبر أحلى من العسل!



فهنا الله ﷻ يبشر الصابر الذي إذا أصابته مصيبة يسترجع، ويقول مباشرة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾؛ لأن الذي يدبر أمره ويصبر فيها هو الله خالقه ورازقه ومالكه، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذا يحتاج إلى إيمان، يحتاج إلى علم، يحتاج إلى ثبات؛ حتى يسترجع ويذكر مباشرة، أو جليس صالح يذكره؛ لأن المصائب لها دهشة ولها حرارة في القلب، آلام تفتت الأفئدة لا يبردها ويثلجها إلا الإيمان بالقدر. وما أكثر المؤلمات، لطفك يا الله.

وقد وصف حال الدنيا ابن القيم رحمه الله الدنيا في «زاد المعاد» (١٧٤/٤):
الدُّنْيَا أَحْلَامُ نَوْمٍ، أَوْ كَظَلٌّ زَائِلٍ، إِنْ أَضْحَكَتْ قَلِيلًا أَبْكَتْ كَثِيرًا، وَإِنْ سَرَّتْ يَوْمًا سَاءَتْ دَهْرًا، وَإِنْ مَتَّعَتْ قَلِيلًا مَنَعَتْ طَوِيلًا. اهـ.

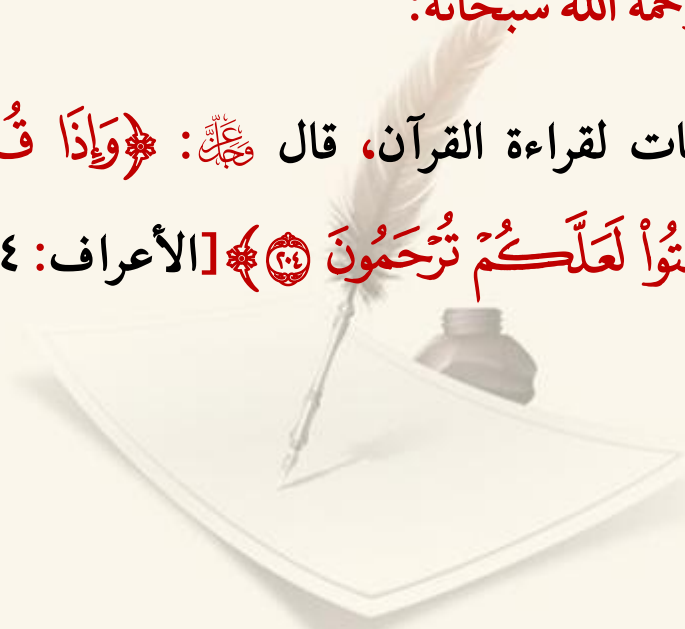
المؤلمات في الحياة أكثر من سعادتها، لكن المؤمن يكون منشراح الصدر مهما كان الحال، الله يرزقنا وإياكن انشراح الصدور: ﴿رَبِّ أَسْرَحْ لِي صَدْرِي﴾
﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ [طه: ٢٥-٢٦] من دعاء نبي الله موسى عليه السلام.

وابن القيم رحمه الله يقول في حال الناس في هذه الدنيا في «زاد المعاد» (١٧٤/٤): وَلَيَعْلَمَ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ، وَلَيَنْظُرُ يَمْنَةً فَهَلْ يَرَى إِلَّا مِحْنَةً؟ ثُمَّ لَيَعْطِفُ يَسْرَةً فَهَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً؟ وَأَنَّهُ لَوْ فَتَشَ الْعَالَمَ لَمْ يَرَ فِيهِمْ إِلَّا مُبْتَلًى، إِمَّا بِفَوَاتٍ مَحْبُوبٍ، أَوْ حُصُولٍ مَكْرُوهٍ. اهـ المراد.

فإذن من أسباب رحمة الله ﷻ: الاسترجاع عند المصيبة، والنفس من طبيعتها التآلم والحزن، وهذا شيء طبيعي لا يؤاخذ الله ﷻ عليه، وربما خرج بعض الصوت وهو يدعو الله حينما يُفَاجَأُ بما لا يلائم طبيعته، قد يخرج شيء من الصوت لا عن اختيار وتعمّد، ولا صراخ نياحة؛ فهذا لا يؤثر على الأجر واحتساب المصيبة: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (١٥٧) [البقرة: ١٥٧].

ومن أسباب نيل رحمة الله ﷻ سُبْحَانَهُ:

الاستماع والإنصات لقراءة القرآن، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢٠٤) [الأعراف: ٢٠٤]. يستمع



بسمعه، وينصت بلسانه وقلبه أيضًا؛ لأنه قد ينصت ولا يستمع، وقد يستمع ولا ينصت؛ فلذا جُمع بينهما.

فإذا استمع وأنصت عند سماع تلاوة القرآن يكون ممن عليه السلام، وهذا يدل على أن الذي لا يتصف بهاتين الصفتين عند سماع القرآن محروم من هذه الرحمة. فعلى من يسمع القرآن أن يكون مستمعًا منصتًا، وإذا كان هذا فيمن قُرئ عنده القرآن، فكيف بتالي القرآن أيضًا؟

يُحضر قلبه، ويُركّز على تلاوته، ينحي من قلبه شواغل الدنيا، شواغل المسؤولية، ينحي من قلبه الأفكار ويجاهد، وإلا فالشيطان حريص على تشتت ذهن القارئ وذهن المستمع، وعلى تشتت ذهن المصلي والعابد، وتفرقه هنا وهناك، وفي أشياء لا طائل من ورائها.

ومن أسباب نيل رحمة الله سبحانه:

الاستغفار يقول صالح عليه السلام لقومه: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦].



(لولا) حرف تحضيض بمعنى: هلاً. فالاستغفار من أسباب نيل رحمة الله
سُبْحَانَهُ.

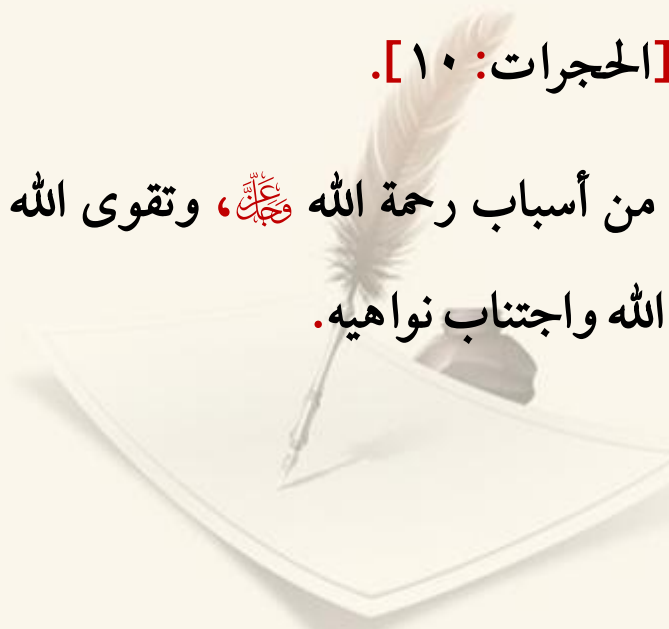
وما أكثر ذنوبنا! والذنوب تخون صاحبها وهو أحوج ما يكون إلى النجاة،
وإلى التوفيق من رب العالمين.

حتى إن الذنوب من أسباب رد الحق، ومن أسباب العناد، قال ربنا ﷺ:
﴿وَأَن أَحْكُمُ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ
عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ
ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩].

ومن أسباب الفوز برحمة الله سُبْحَانَهُ:

يقول سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠].

تقوى الله سُبْحَانَهُ من أسباب رحمة الله ﷻ، وتقوى الله كلمة شاملة،
وهي: امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه.



﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، إصلاح ذات البين وعدم السعي بالتحريش والتخيب، وكما قال ربنا ﷺ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

قال الزجاج في «معاني القرآن» (٢/٤٠٠): معنى (ذاتَ بَيْنِكُمْ) حقيقة وصلِّكم، والْبَيْنُ: الوصل، قال تعالى: (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) أي وصلكم. فالمعنى: اتقوا الله وكونوا مُجْتَمِعِينَ على ما أمر الله ورَسُولُهُ، وكذلك اللهم أصلح ذات البَيْن، أي: أصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون. اهـ. فالإصلاح شأنه عظيم، فإياك أيتها المرأة المسلمة أن تكوني من المحرشات، اللاتي يُشعلن الفتنة بين الأسر، بين الأصدقاء، بين الأخوة، بين الأزواج، بين الجيران، بين المعلمات وطالباتهن؛ كوني مُصلحة وإلا فالصمت.

فالإصلاح من أفضل الأعمال، يقول الله ﷻ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٤).

[النساء: ١١٤]. ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]. وقال سبحانه في شأن قارون: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

ويقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قالوا: بلى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ» رواه أبو داود (٤٩١٩) عن أبي الدرداء.

والإفساد ضد الإصلاح، فاحرصي أن تكوني مفتاحاً للخير كالغيث أينما كنتِ وأينما حللتِ، اغرسي لك خيراً في مجالسك، مع صاحباتك، مع عائلتك، اغرسي خيراً؛ لتجديه عند الله: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

وإن من عقيدتنا أن من الإفساد وليس من الإصلاح: الخروج على الحكام الظلمة بالمظاهرات والانقلابات والثورات، هذا من الإفساد: ﴿وَلَا

تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦]، الأرض صالحة في أمن وأمان، وفي عيش ورخاء، فلا تفسد أيها المفسد تلك البلاد بالخروج على الحكام وإن ظلموا، وإن جاروا ولم يعدلوا، فالله يتولى أمورهم.

الله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وأولو الأمر هم: العلماء والأمرء.

وكيف تنقلب البلد ويصير حالها بعد ذهاب ولي أمرها؟!!

سَفْكُ دماء، ورعب، وخوف ودُعر، وفقر، ومُحَن، ونهب الأموال، وافتئات وظلم، ويصير الحال أسوأ وأسوأ، وهذا من جرّاء الخروج على الحكام.

فافهموا عقيدتكم، أيها المسلمون، وما أحسن ما قيل:

لَا يَصْلَحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ هُمْ.. وَلَا سَرَاةٍ إِذَا جُهَا هُمْ سَادُوا

وَالْبَيْتُ لَا يُبْتَنَى إِلَّا لَهُ عَمَدٌ.. وَلَا عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ

الحياة تصير فوضوية ولا تصلح ولا تتنظم إلا بولادة الأمور.

فهذه بعض أسباب الفوز برحمة الله التي ينبغي أن نتسابق إليها، ونتنافس في العمل بها؛ ليرحمنا ربنا سُبْحَانَهُ، ويقينا من عذابه وسخطه.

ومن وقى عذابه سُبْحَانَهُ كان من المرحومين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ
إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ١٥ مَّنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ
وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ [الأنعام: ١٥-١٦].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية من سورة الأنعام: ﴿مَّنْ يُصْرَفْ عَنْهُ﴾
أي: العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ يعني ﷻ، ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ ١٦،
كَقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل
عمران: ١٨٥]، والفوز حصول الربح، ونفي الخسارة.

واعلمن أن الكفار لا رحمة لهم في الآخرة، أما في الدنيا فرحمة الله شاملة؛
من حيث يأتيهم رزقهم، ويأتيهم الأولاد والطعام والشراب والمسكن إلى

غير ذلك، لكنها أمور دنيوية، وفي الآخرة لا ينالهم شيء من رحمة الله
سُبْحَانَهُ.

قال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي
وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٢٣].

ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [١٢] وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ
شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الروم: ١٢ -
١٣].

أي: ييأسوا من رحمة الله.

فييأسون من رحمة الله ﷻ، بعد أن ينكسروا بين يدي الله، ويستجيبوا،
ويستسلموا، ويفيقوا، ويتوبوا، ويعتذروا، وأنّي لهم ذلك.

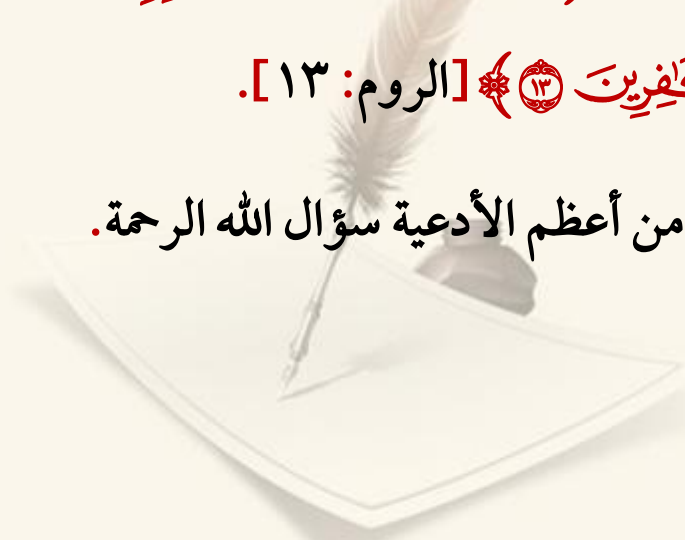
وقال ﷺ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا
أَبْصِرْنَا وَاسْمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]،
ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ

فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾
وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا
نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ
فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ [فاطر: ٣٦-٣٧]، وفي سورة
المؤمنون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا
فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧-١٠٨].

الله يوبخهم ويزجرهم أن يتكلموا، فيأسوا من رحمة الله ﷻ، وتتقطع
قلوبهم حسرات حيث لا تنفعهم الحسرة، ويخونهم باطلهم وهم أحوج ما
يكونون إليه. وكما يقول ابن القيم رحمه الله: كل من تعلق بباطل فإنه يخونه
أحوج ما يكون إليه.

ولهذا الله ﷻ يقول: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا
بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الروم: ١٣].

أيها الأخوات: إن من أعظم الأدعية سؤال الله الرحمة.



وإن من الأدعية: قول من يدخل المسجد: «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»
(٥)، يدعو لنفسه بأن يفتح الله له أبواب رحمته.

ورحمة الله واسعة، فيُفتح له أبواب: جمع قلبه لا يكون فقط في المسجد
ببدنه، وقلبه في تجارته وأعماله وشواغله هنا وهنا، يُفتح له باب الخشوع،
يفتح له باب القبول والتوفيق، «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» عام.

ومن أدعية الفتيّة أصحاب الكهف: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ
لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

وهذا من أهمية الأدعية، الدعاء بالرحمة؛ ولهذا لما قال أبو بكر الصديق
للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: علمني دعاء أدعوه به في صلاتي، قال:

(٥) عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ، أَوْ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ
افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ» رواه مسلم (٧١٣).

«قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (٦).

رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ.

والحمد لله رب العالمين.

(٦) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: عَلَّمَنِي دُعَاءَ أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» رواه البخاري (٨٣٤)، مسلم (٢٧٠٥).